خطبة ألقاها

الشيخ أ.د. سليمان بن سليم الله الرحيلي

أستاذ كرسي الفتوى بالجامعة الإسلامية والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

يوم ٢١ ربيع الآخر ١٤٣٥ في الإمارات

[الخطبة الأولى]

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، من يهد الله فلا مُضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١]

أمّا بعد: فإنّ أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، ثم يا عباد الله:

إنّ طلب السعادة والخير والاستقرار والطمأنينة أمرٌ فطريّ في الإنسان، يطلبه الصغير والكبير، الذَّكَر والأُنثى، الفُجّار والأبرار، المسلمون والكُفّار.

وقد تنوّعت طرق الناس في طلب تلك الأمور يا عباد الله.

- فمن الناس مَن ظنّ أنّ السعادة في الأسفار والتنقّل بين الأقطار، فيَظَلّ طول عمره ينتقل من بلد إلى بلد، ولا تهنأ به زوجة ولا ولد، ويغفل بالسفر عن طاعة الله ﷻ، فلا يُحَصِّل من السعادة شيئاً.
- ومن الناس من ظنّ أنّ السعادة في جمع الأموال وتكثير الأولاد، حتى ألْهَتْهُ عن طاعة الله وألْهَتْهُ عن حقّ الله ﷻ، فلم يُحَصِّل سعادة، بل كان أمره كما قال ربّنا ﷻ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾﴾ [التكاثر:١-٢].

- ومن الناس مَن ظنّ أنّ السعادة في إعطاء النفس شهواتها، وإطلاقها في ملذّاتها، ولو كان ذلك يُغضِب الله في عَلْيائه سبحانه، فما حصّل سعادة، بل كان في شقاء وضاق صدره، ولا يزال صدره يضيق ما عصى الله سبحانه وتعالى.
- ومن الناس من ظنّ أن السعادة في الدنيا ليست موجودة، وأنها دُرّة منشودة مفقودة.

وما درى كلّ أولئك المساكين أن السعادة موجودة موجودة، إنها مركوزة في جملة قليلة المبنى، عظيمة المعنى، إنها مركوزة في جملة يَسهُل نطقها، ويصعب حصر خيراتها، إنّها في تقوى الله سبحانه وتعالى.

وكيف لا يكون الأمر كذلك،

- وهي وصيّة الله للأوّلين والآخرين، ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ﴾ [النساء:١٣١].
- وهي أمر الله للناس أجمعين، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ [النساء:١].
- وهي أمر الله لمعاشر المؤمنين، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [البقرة:٢٧٨].
- وهي أمر الله لسيّد المرسلين، وخير ولد آدم أجمعين، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب:١].
- وهي وصية النبي الكريم: «أوصيكم بتقوى الله».
- وهي وصية السلف الصالحين، فما عُرِفَت وصيّة أعظمُ ولا أكرمُ ولا أكثرُ في لسان السلف من الوصية بتقوى الله عزّوجلّ.

لا إله إلا الله يا عباد الله! إن هذه الجملة العظيمة حَوَتْ تحت رايتها خير الدنيا والآخرة للمسلم يا عباد الله، فالعاقبة الكريمة له، ﴿وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه:١٣٢]، والبشرى له، والنجاة يوم القيامة له، ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾﴾ [النبأ:٣١].

فما مِن خير ترجوه –يا عبد الله– إلا وهو مركوز تحت راية تقوى الله سبحانه وتعالى، فإذا كان ذلك كذلك –يا عبد الله– لا بدّ أنّ قلب المؤمن يستشعر هذا الأمر العظيم، ويُحِبّ أن يكون من أهله، وأن يتّصف بصفات أهله، لعلّه أن ينال هذه المنزلة العُليا، وأن يكون من المتّقين، فيجمع لنفسه الخير في الدنيا والأخرى.

وإنّ ربّنا الكريم –يا عباد الله– قد بيّن لنا عظائم صفات المتقين وكبار صفاتهم، لِنَمتثلَها ولِنَعملَ بها، لعلّنا أن نكون من المتقين، لِنَسمعْ ربنا سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٦].

الله أكبر يا عباد الله! ربنا سبحانه وتعالى يأمرنا بالمسارعة، إلى أي أمر؟ إلى أمر كريم، إلى مغفرة منه سبحانه وتعالى، وجنة عرضها السماوات والأرض، ماذا فيها؟ أعدّها الله للمتقين، ماذا أعدّ فيها؟ أعدّ فيها لعباده الصالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

طَوِّف يا عبد الله –طَوِّف يا عبد الله– بِخَيالك فيما شئت من الملذّات، والله إنك لم تبلغ شيئًا من لذّة الجنة، وما أعظمَه من تشويق!

مَن هم هؤلاء المتقون الذين يسارعون إلى هذا المقام الكريم؟ إنهم الذين يُنفِقون في السرّاء والضرّاء، يُنفِقون في سبيل الله وهم في سرّاء وسعة من الرزق، ويُنفِقون في سبيل الله وهم في ضرّاء وضيق من الرزق، يتصدّقون على المسلمين والمسلمون في السرّاء، ويتصدقون على المسلمين والمسلمون في الضرّاء، مالُهم يجعلونه لله سبحانه وتعالى، يبادرون بالصدقة لأنهم يعلمون أنّ مالَهم هو الذي يُنفِقونه في سبيل الله.

يقول العبد: مالي! مالي! وليس لك من مالِك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو أنفقت فأبقيت، وما سوى ذلك فذاهبٌ وتاركُه للناس.

فالمتّقي –يا عباد الله– يعلم أنّ مالَه الحقيقيّ هو ما أنفقه في سبيل الله سبحانه وتعالى.

﴿وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾: المتّقي –يا عباد الله– حَسَنُ الأخلاقِ مع الناس، إنْ أحسنوا إليه أحسن إليهم، وإن أساءوا إليه عفا عنهم، فإذا جاءت الزّلّة لم يبادر إلى الغضب، بل تذكّر ما عند الله، فأطفأ ذلك جمرةَ الغضبِ في قلبه، وعفا عن الناس، بل إنّه يزيدهم ويُكرِمهم.

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: فيحسن إليهم، فالمتقي حقًّا -يا عباد الله- إنْ أحسن الناس إليه أحسن إليهم، وإن أساء الناس إليه عفا عنهم وزادهم بأن أحسن إليهم.

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: الله أكبر يا عبد الله! الله يحبّك، يقول العلماء: ليس الشأن أن تُحِبّ، ولكن الشأن أن تُحَبّ، الله يحب المحسنين.

والإحسان كما يقول العلماء نوعان:

- إحسان في عبادة الله،
- وإحسان إلى عباد الله.

أمّا الإحسان في عبادة الله: فهو درجتا أن تعبد الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، والإحسان إلى عباد الله شاملٌ جامعٌ لكلّ أنواع الإحسان، وشاملٌ جامعٌ لكلّ عباد الله، وأولى الناس بالإحسان هم الوالدان يا عباد الله، ثم الأقارب والعلماء وولاة الأمر، ثم الأقرب فالأقرب من عباد الله، ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

وهم مع إحسانهم بَشَر، والبَشَر لا بدّ له من الخطأ، والخطيئة كأنّها للعبد أمرٌ لازم، يقول النبي ﷺ: «كلّ بني آدم خطّاء، وخير الخطّائين التوّابون».

ولذا قال الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾، إنهم -يا عباد الله- يجاهدون أنفسهم فلا يفعلون المعاصي، ولكن قد تغلبهم النَّفْس فيقع الواحد منهم في معصية كبرى أو معصية صغرى، فلا يفرح بها ولا يستلذّ بها، بل يذكر عظمة الله، ويذكر أنّ الله قادرٌ عليه، ويذكر أنّه سيقف بين يدي الله في موقف عظيم، وأنّ الله القويّ الجبّار سَيُكَلِّمُه ليس بينه وبينه ترجمان، فيخاف الله ﷻ، فيبادر إلى استغفار الله ﷻ من ذنوبه التي عملها، والله غفور رحيم، ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، يبادر إلى الله، ويستغفر من الذنب، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾.

المتقون -يا عباد الله- لا يُصرّون على معصية الله، وإنّما الإصرار دليل الخسار -والعياذ بالله- يا عباد الله.

هؤلاء المتقون، ما جزاؤهم؟ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦﴾.

إنّ الجزاء -يا عباد الله- لِمن اتقى الله في الدنيا جنة عدنٍ في الآخرة، وما أدراك ما الجنة؟! فيها النعيم الذي لا ينقطع، فيها السعادة التي لا تتبدّل، فيها الخير واللذة التي لا تُتَصَوَّر، إنها -والله- خير المستقرّ والمقام.

فتأمّلوا -عباد الله- في أحوالكم مع صفات المتقين، وانظروا أيّ العباد أنتم، فإنّ العبد مُحاسِبٌ لنفسه، فإنْ حاسب نفسه فوجد أنه يسير على طريق المتقين فلا يغترّ بنفسه، وليسأل الله الثبات، وليعلم أنّ الخير الذي هو فيه إنما هو نعمة من الله، وأنّ القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن، يُقَلِّبُها كيف يشاء، وإن وجد غير ذلك فليراجع، وليبدّل، ولْيُنِب إلى ربّه، فإنّ الدنيا كلها قليل، وإن الباقي منها قليل، وإن الذي لنا منها قليل، وإنا لا ندري -يا عباد الله- متى يكون الرَّحِيل، وإن الوقوف بين يدي الله عظيم، فاتقوا الله عباد الله، واعملوا بما شَرَعَ الله، لعلّكم تُرحمون.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد فيا عباد الله:

إنّ حقيقة التقوى تكون في القلب، ثم تُثمر أعمالاً طيّبةً على الظاهر، يقول النبي ﷺ: «التقوى ههنا»، ويشير بأصبعه الشريف إلى قلبه ثلاث مرات.

فحقيقة التقوى تكون في القلب، وقد ذكر العلماء أنّ حقيقة التقوى: أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله.

أن تعمل بطاعة الله على نور من الله: فتتّبع ما جاء عن رسول الله ﷺ، لا تبتدع عبادة، وإنّما تلزم سنّة رسول الله ﷺ، لا تَحِيد عنها طرفة عين.

ترجو ثواب الله: فأنت مُخلِص لله ﷻ، لا تريد ثناءً من المخلوقين، ولا تريد جزاءً من دون الله ﷻ، وإنّما تريد ثواب الله ﷻ.

وأن تترك معصية الله على نور من الله: ليس من باب التشدّد، وليس من باب تحريم ما أحلّ الله، وإنما تُحَرِّم ما حرّم الله، وتترك ما حرّم الله، خائفًا من عذاب الله ومن عقاب الله، مُستحضرًا أن الله معك في الدنيا بسمعه وبصره وعلمه، وأنّه محاسبك يوم القيامة، وأنّ أعضاءك تشهد عليك عند لقاء الله ﷻ، هذه حقيقة التقوى.

التقوى -يا عباد الله- أن يحرص المؤمن على أن يكون موجودًا حيث أمر الله، وعلى أن يكون مفقودًا حيث نهى الله ﷻ.

التقوى -يا عباد الله- أن يكره المؤمن معصية الله ولو كانت صغيرة، لأنه يعلم عظمة الله ﷻ.

خلِّ الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التُّقى

واصنع كماشٍ فوق أرض الشوك يحذر ما يرى

لا تحقرنّ صغيرة إن الجبال من الحصى

إنّ الذنب -يا عباد الله- لا ينبغي للمسلم أن يحقره، بل ينبغي للمسلم أن يتركه، فإن وقع فيه ينبغي عليه أن يبادر إلى غَسله وصَقله بتوبة صادقة إلى الله ﷻ.

ثم اعلموا -رحمني الله وإياكم- أنّ الله أمرنا بأمرٍ كريم شريف، بدأ فيه بنفسه، ثمّ ثنّى بملائكته، فقال -عز من قائل-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦].

وقال النبي ﷺ: «من صلَّى عليّ صلاةً واحدة صلّى الله عليه بها عشرًا».

فاللهمّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميدٌ مجيدٌ، وسلِّم تسليمًا كثيرًا، وارضَ اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارض اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارضَ اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارضَ عنّا معهم بمنّك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللهمّ اجعلنا ممن رضيت أقوالهم وأعمالهم وقبلتها يا رب العالمين، اللهمّ اجعلنا ممن رضيت أقوالهم وأعمالهم وقبلتها يا رب العالمين، اللهمّ اجعلنا ممن رضيت أقوالهم وأعمالهم وقبلتها يا رب العالمين.

اللهمّ قربّنا من كل خير، وقرّب الأخيار منّا يا رب العالمين، وباعد بيننا وبين كل شر، وباعدنا عن الأشرار يا رب العالمين.

اللهمّ اجعلنا من عبادك المتقين، اللهمّ اجعلنا من عبادك المتقين، اللهمّ اجعلنا من عبادك المتقين.

اللهمّ بارك لنا في كل نعمة أنعمت بها علينا يا رب العالمين، اللهمّ بارك لنا في أعمارنا، اللهمّ بارك لنا في أعمالنا، اللهمّ بارك لنا في أوقاتنا، اللهمّ بارك لنا في ذرّياتنا، اللهمّ بارك لنا في زوجاتنا، اللهمّ بارك لنا في بيوتنا، اللهمّ بارك لنا في مدينتنا، اللهمّ بارك لنا في أمارَتِنا، اللهمّ بارك لنا في دولتنا يا رب العالمين، اللهمّ بارك لنا في ولاة أمرنا يا رب العالمين.

اللهمّ زِد ولاة أمرنا خيرًا يا رب العالمين، اللهمّ قرّبهم من الخير وقرّب الأخيار منهم يا رب العالمين، اللهمّ وأبعدهم عن الشر وأبعد الأشرار عنهم يا رب العالمين، اللهمّ أتمّ على ولي الأمر الصحة والعافية يا رب العالمين، اللهمّ واملأ قلبه حُبًّا للرعية يا رب العالمين، واملأ قلوب الرعية حُبًّا له يا رب العالمين، واجعلهم رحمةً فيما بينهم يا رب العالمين، اللهمّ وفّق ولاة الأمر إلى كل خير يا رب العالمين.

اللهمّ أنزل الأمن والسعادة في بلادنا يا رب العالمين، اللهمّ أنزل الأمن والسعادة في قلوبنا يا رب العالمين.

اللهمّ زد هذا البلد تآلفًا وتماسكًا يا رب العالمين، اللهمّ زد هذا البلد تآلفًا وتماسكًا يا رب العالمين، اللهمّ زد هذا البلد تآلفًا وتماسكًا يا رب العالمين.

اللهمّ يا ربنا، يا حيّ يا قيّوم، يا بديع السماوات والأرض، نسألك كما جمعتنا في هذا اليوم المبارك، في هذا المسجد المبارك، في هذه الصلاة المباركة، أن تجمعنا ووالدينا وأهلنا في الفردوس الأعلى أجمعين، اللهمّ لا تَحرِم منّا أحدًا يا رب العالمين.

اللهمّ إنا ظلمنا أنفسنا ظُلمًا كثيرًا ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لنا مغفرة من عندك وارحمنا، إنك أنت الغفور الرحيم.

اللهمّ قد اجتمعنا في بيت من بيوتك، نؤدّي فريضة عظيمة من فرائضك، نرجو رحمتك ونخاف عذابك، اللهمّ أعطِنا ما نرجو، وأمِّنّا مِمّا نخاف يا رب العالمين، اللهمّ اجعلنا في خير في الدنيا، واجعلنا في خير في الآخرة، وارزقنا الفردوس الأعلى يا رب العالمين.

ربّنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

عباد الله! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل:٩٠].

فاذكروا الله العظيم يذكركم، واشكروه على نِعمه يزدكم، ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ٤٥﴾ [العنكبوت:٤٥].